

ابستمولوجيا العلوم الإنسانية والاجتماعية

Epistemology of the Social Sciences and the Humanities

فيصل زيات^{*1}

¹ جامعة العربي التبسي – تبسة (الجزائر)، fayssal.ziat@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2022/06/11

تاريخ الاستلام: 2022/01/12

ملخص:

إن الهدف من هذا البحث هو محاولة دراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية دراسة ابستمولوجية، أي اكتشاف المعرفة والتنقيب عنها وتنميتها، وفحصها وتحقيقها بتقص دقيق، ونقد عميق ثم عرضها بذكاء وإدراك، ولعل هذا دور الابستمولوجيا كما عرفه لنا غاستون باشلار كنشاط معرفي في العصر الحديث. فلم يمتز تاريخ "العلوم" الإنسانية والاجتماعية على النحو الذي مضت عليه خطوات تاريخ "العلوم" الطبيعية، نتيجة اعتمادها على التجريب كمصدر لليقين، هذا ما أدى إلى سعي مختلف العلوم الأخرى إلى محاولة تجسيد الدراسات العلمية على مختلف ظواهرها، ومن بين هذه العلوم نجد العلوم الإنسانية.

وتوصلت الدراسة إلى أن أنه من المفيد أن ننظر إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية، أن لها أهمية بالغة ومكانة هامة بين العلوم الأخرى لاسيما أنها تساعدنا على أن نرى العلم في سياق أوضاع الحاضر ومشكلاته، وفي ضوء المستقبل الممكن تحقيقه كذلك. ويمكن أن تؤدي دورها الفعال في بناء المعرفة الإنسانية، وبهذا فهي قادرة وجديرة بأن تنهض بدورها بصفاتها علم من العلوم. كلمات مفتاحية: العلم؛ الابستمولوجيا؛ المنهج؛ العلوم الإنسانية؛ الدراسة العلمية.

Abstract:

The aim of this research paper is to study social sciences and the humanities as an epistemological study, i.e. to discover and develop knowledge and to examine and achieve it with careful investigation, deep criticism and then to present it with intelligence and awareness. The history of the human and social "sciences" did not proceed as the steps of the history of the natural "sciences" did, as a result of its reliance on experimentation as a source of certainty. This is led to the efforts of variety of other sciences to embody scientific studies on their various phenomena, and among these sciences we find the humanities.

*المؤلف المرسل

The study concluded that it is useful to look at the humanities and social sciences, as they have great importance and play an important role among other sciences, especially as it helps human to see science in the context of the present conditions and problems, and in the light of the possible future as well. It can play its effective role in building human knowledge, and thus it is capable and worthy of playing its role as a science.

Keywords: Science; Epistemology; Method; Humanities; Scientific Study.

1. مقدمة :

إن كل المواضيع التي تدرسها الفلسفة لها علاقة وطيدة بالإنسان، ولذلك فقد اعتبر الفيلسوف كانط بأن السؤال المركزي في الفلسفة هو: ما الإنسان؟ في المقابل يحتل البحث العلمي في الوقت الراهن مكانة بارزة في تقدم النهضة العلمية، حيث تعتبر المؤسسات الأكاديمية هي المراكز الرئيسية لهذا النشاط العلمي الحيوي، بما لها من وظيفة أساسية في تشجيع البحث العلمي وتنشيطه وإثارة الحوافز العلمية لدى الباحث والدارس حتى يتمكن من القيام بهذه المهمة النبيلة على أكمل وجه. (شاروخ ، 2003: 53)

يعتبر البحث العلمي من ضرورات هذا العصر، فهو المحرك لكل تقدم في كافة المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومن المسلم به أن كل دولة من دول العالم المختلفة تسعى إلى إحداث قفزة نوعية نحو بلوغ التطور العلمي والمعرفي بجميع أبعاده، والذي يلزم لتحقيقه توافر مجموعة من العوامل وتضافرها لاسيما رؤوس الأموال والتكنولوجيا الحديثة، إذ يأتي في مقدمة أولويات كل دولة إمكانية تطوير البحث العلمي وجعله يواكب تطلعات واهتمامات الدولة. (عمار، 2002: 43)

إن الدول المتطورة والصناعية لم تصل إلى ما وصلت إليه، إلا بفضل تشجيعها وسهرها الدائب على تطوير البحث العلمي، ولعل الدول النامية ومنها الجزائر أحوج ما تكون إلى تطوير هذا المجال وتنميته.

وإذا كانت هذه هي مكانة البحث العلمي في تقدم العلم والمعرفة، فإن مجاله يختلف من علم لآخر، وهذا ما أوجد تباينا في الخصوصية المفترضة لكل علم.

لا أحد ينكر أن هناك اختلاف في البحث العلمي في العلوم التجريبية عنه في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فالعلوم الإنسانية، مثل علم النفس وعلم الاجتماع، انفصلت منذ بداية القرن التاسع عشر عن الفلسفة، وحاولت دراسة الظواهر الإنسانية بمناهج العلوم التجريبية التي تدرس الظواهر الطبيعية. غير أن اختلاف موضوع العلوم الطبيعية عن موضوع العلوم الإنسانية انجر عنه صعوبات وعراقيل تواجه الباحث العلمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية.

هدف الدراسة:

والهدف من هذا البحث ليس مجرد عرض لعوائق تطبيق المنهج التجريبي وتجاوزها في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بل إننا نصبوا إلى تبيان أهمية وطبيعة المنهج المرتبط بالعلوم الإنسانية والاجتماعية وانعكاساتها على العلوم وعلى تقدم المعرفة الإنسانية، من خلال دراسة ابستمولوجية.

إشكالية الدراسة:

ومما سبق يمكن طرح الإشكالية في التساؤل الرئيسي التي تأتي هذه الورقة البحثية للإجابة عليه على النحو الآتي:

هل يمكن تقديم معرفة علمية دقيقة حول الإنسان بالاعتماد على المنهج التجريبي؟ ما هي مشكلة العلوم الإنسانية (الصعوبات والعراقيل) التي تعترض الباحث العلمي؟ وما مدى تأثيرها على الموضوعية العلمية؟ وهل يمكن الخروج من مشكلة العلوم الإنسانية عن طريق الدراسة الابستمولوجية؟

أهمية الدراسة:

يستمد موضوع هذا البحث أهميته من خلال معرفة أهم الفروع المعرفية، متمثلة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وذلك بالتطرق إلى مختلف المشكلات التي تواجه

الباحث العلمي في الظواهر الإنسانية والاجتماعية وتجاوزها ابستمولوجيا، وصولاً إلى نتائج معتبرة معتمدين على المنهج العلمي التجريبي، تجعل الفرد يستفيد من هذه النتائج.

منهج الدراسة:

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي وهذا لتوضيح خصائص العلوم الإنسانية والاجتماعية منذ القدم، إضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي والإبستمولوجي، الذي يقوم على جمع المعلومات وتحليلها وقراءتها قراءة نقدية ابستمولوجية ومن ثم استخلاص النتائج.

2. عوائق تطبيق المنهج التجريبي في مجال العلوم الإنسانية

وضع العلماء والمفكرون شروط أساسية لإمكان قيام علم - أي علم ومن أهم هذه الشروط مشاهدة الوقائع مشاهدة نؤمن فيها من الزلل، وهذه الشروط تحققت في العلوم الطبيعية أما العلوم الإنسانية فهناك فرق بينهما يكمن في درجة التقدم والتأخر. (ابراهيم، 2000: 188)

فالعلوم الطبيعية، هي تلك العلوم التي تهتم بدراسة الظواهر الطبيعية، ومن هذه العلوم نجد: الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والفلك، كما تتضمن العلوم البيولوجية كالحيوان والنبات البيولوجي، أما العلوم الإنسانية فهي تلك العلوم أو فروع المعرفة التي تتجه نحو دراسة أصل وتاريخ الإنسان، إذ تهتم العلوم الطبيعية بصفة مباشرة بالظواهر والأحداث الطبيعية، بينما تهتم العلوم الإنسانية بدراسة أنشطة ومنجزات الإنسان.

العلم لا يكون علماً إلا بالمنهج الذي يستخدمه، فالعلم منهج قبل أن يكون موضوعاً أو مجموعة معارف أو نظريات. لأننا لا نستطيع أن نتوصل إلى المعارف العلمية بدون استخدام منهج علمي. وبصفة عامة يمكن القول بأن دراسة السلوك الإنساني تتم بعدة طرق أو مناهج تستخدم. (شرف، (د.ت): 05)

تعد مسألة البحث في المناهج، من المسائل المركزية في العلوم الطبيعية والإنسانية على السواء، وذلك لأن نتائج كل علم ترتبط بالمنهجية المتبعة. وتاريخ العلم الحديث،

يثبت أن ليس هنالك من علم دون منهج يشكل حلقاته الأساسية التي يبني عليه. والابستمولوجيا بوصفها دراسة نقدية لمبادئ العلوم المختلفة، ومنها المنهجية Méthodologie التي استقلت» بنفسها استقلالاً تاماً، لتشكل علماً خاصاً هو "علم المناهج" (الجابري، 1998: 19)، الذي يختلف كلية عن المنطق الصوري.

وتقوم المنهجية بدراسة مختلف المناهج العلمية بناءً على قاعدتين أساسيتين الأولى أن لكل علم منهجه الخاص، والثانية أن عمل المنهجية، لاحق للعمل العلمي وليس سابق عليه، لأن الباحث في علم المناهج "لا يرسم للباحث الطريق التي يجب أن يسلكها، بل إنه بالعكس من ذلك، يتعقبه ويلاحق خطواته الفكرية والعملية: يصفها ويحللها ويصنفها، وقد يناقش وينتقد، كل ذلك من أجل صياغتها صياغة نظرية منطقية قد تفيد العالم في بحثه، وتجعله أكثر وعياً لطبيعة عمله (الجابري، 1998: 23)

فالمنهج فهو السبيل الذي يمكن أن يتطرق منه الباحث إلى الهدف الذي ترمي إليه تلك الدراسة أو ذلك البحث.

وهذا واضح من المعنى المعجمي لمفهوم المنهج المرادف للسبيل أو الطريق، وبحسب هذا الفهم تفترض ممارسة منهج معين توضيح معالم الطريق وتبيان المحطات المنهجية التي ينبغي التوقف عندها، للوصول إلى النتائج والحلول المقنعة، ذات الموثوقية المشروعة. أما تحديد المحطات فيتم في تتابع متناسق يؤدي في نهاية المطاف إلى التعيين الدقيق لمعالم الأفعال الملموسة الواجب تنفيذها، حتى يتحقق الموقف العلمي.

وهكذا يصبح هذا المنهج الرئيسي قادراً على تقديم مفاتيح المعرفة لتجاوز كل الإشكاليات، والإجابة على كل التساؤلات.

ويصل الأمر بالعديد من الباحثين إلى الكلام عن منهج علمي واحد يتأثر بالميزات الخاصة بكل علم من العلوم الاجتماعية ويتكيف تبعاً لها.

يعد البحث العلمي أحد المقومات الأساسية للحضارة والتقدم، فهو تلك الوسيلة التي يستخدمها الإنسان لأعمال العقل والحواس وجميع الملكات من أجل فهم حقيقة الظواهر الطبيعية والاجتماعية التي تحدث من حوله من أجل تسخيرها لخدمته.

فالبحث يعني التفتيش والتنقيب عن مسألة معينة للوصول إلى حقيقتها. وإذا كان البحث في اللغة يعني البحث عن الشيء أي التفتيش عنه، فإنه في الاصطلاح يدور حول ذات الموضوع أي بذل الجهد في التحري والتفتيش والتتبع والدراسة لموضوع معين حتى يتبين حقيقته.

ولقد كان البحث والتفكير العلمي هو من ساهم في إخراج البشرية من الظلمات إلى النور وفي أبعادها عن شبح الخرافة التي يسيطر عليها. والذي كان يجعل الإنسان يقف عاجزاً أمام تفسير الظواهر الطبيعية التي تحيط به الأمر الذي جعله يعزي هذه الظواهر إلى قوى خارقة خفية. ولكن عندما بدأ الإنسان يعمل عقله لتفسير الظواهر الكونية المحيطة به والاستفادة منها، حتى جاء العصر الحديث الذي اعتمد فيه الإنسان في تفكيره على الأسلوب العلمي وبذلك استطاع أن يقف على حقيقة الظواهر والأحداث التي تقع من حوله.

يذهب البعض إلى تعريف البحث العلمي:

أنه يتكون من كلمتين هما "البحث" و"العلمي"، أما البحث لغوياً فهو مصدر الفعل الماضي "بَحَثَ" ومعناه: "تتبع، فتش، سأل، تحرى، تقصى، حاول، طلب" وبهذا يكون معنى البحث هو: طلب وتقصى حقيقة من الحقائق أو أمر من الأمور، وهو يتطلب التنقيب والتفكير والتأمل؛ وصولاً إلى شيء يريد الباحث الوصول إليه. (ابن مظور، (د.ت):

(114)

أما كلمة "العلمي" فهي كلمة تنسب إلى العلم، والعلم معناه المعرفة والدراسة وإدراك الحقائق، والعلم يعني أيضاً الإحاطة والإلمام بالحقائق

"أو هو إعمال الفكر وبذل الجهد الذهني المنظم حول مجموعة من المسائل أو القضايا، بالتفتيش والتقصي عن المبادئ أو العلاقات التي تربط بينها، وصولاً إلى الحقيقة التي ينبني عليها أفضل الحلول لها".

ويعرف على أنه: "التقصي المنظم، وبإتباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية، بقصد التأكد من صحتها أو تعديلها أو إضافة الجديد لها".

أما كلمة منهج تناولتها بالشرح والتفسير الكثير من المعاجم والموسوعات الفلسفية لما لها من أهمية في كل بحث علمي، وهي ترجمة للكلمة الفرنسية ذات الأصل اليوناني méthode ومعناه "التتبع والتقصي" (قاسم، 2003: 62).

ومن الناحية الاصطلاحية يعتبر المنهج "مجموعة العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها علم من العلوم، بلوغ الحقائق المتوخاة مع إمكانية بيانها والتأكد من صحتها. (باغورة، 2001: 108).

المنهج على العموم هو الطريق الواضح في التعبير عن الشيء أو في عمل شيء أو في تعليم شيء طبقاً لمبادئ معينة، وبنظام معين بغية الوصول إلى غاية معينة، وقد ظهرت في القرن السابع عشر كتب كثيرة تعالج مسألة المنهج. يقول "ديكارت" "إن اقصد بالمنهج قواعد مؤكدة بسيطة إذا رعاها الإنسان مراعاة دقيقة كان في مأمن من أن يحسب صواباً ما هو خطأ والمناهج متعددة" (محمد فتحي، 2017: 304).

إن المنهج العلمي المطبق في العلوم الاجتماعية والإنسانية، يختلف بعض الشيء عن ذلك المطبق في العلوم الطبيعية، خاصة من حيث الدقة، وذلك بسبب الاختلاف في طبيعة المشاكل والظواهر في الميدانين، وبسبب الصعوبات والعقبات. إذ تتلخص صعوبات الباحث العلمي في جملة من العوائق والمشاكل تتلخص أهمها في:

1.2 عوائق الظاهرة النفسية:

حينما نحاول دراسة الظاهرة النفسية دراسة علمية تواجهنا عدة عقبات منها:

إنها حادثة معنوية تتناول موضوعا لا يعرف الثبات والسكون، ولا يستقر في مكان محدد مثلما يلاحظ في ظواهر الطبيعة، فأين يستقر الشعور؟! وما محل الانتباه؟! وأين نجد الإرادة؟! وما حجم الخيال؟! كلها أسئلة لا نجد لها جوابا دقيقا، ومعظم ما يحدث على مستوى النفس لا ينقطع عن الحركة والديمومة، ومن هنا يصعب علينا ملاحظتها بدقة، وإذا تعذرت الملاحظة أجهض المنهج التجريبي برمته. (بياجيه، 1976: 88)

هي حادثة كيفية قابلة للوصف، وغير قابلة للتقدير الكمي، وهذا يعيق الوصول إلى نتائج دقيقة ومضبوطة، إذ لا يمكن مثلا قياس نوايانا وعواطفنا ورغباتنا وانفعالاتنا وإدراكاتنا قياسا رياضيا دقيقا.

هي ظاهرة ذاتية لا يدركها سوى صاحبها، فما يحدث على مستوى نفسي أنا لا يمكن أن يحدث بالضرورة في نفس شخص آخر، فذكرياتي ورغباتي واهتماماتي وحياتي النفسية برمتها تختلف عن نفسيات الآخرين، وهذا يجعل الدراسة العلمية صعبة جدا، إذ لا نجد أنفسنا أمام ظاهرة نفسية واحدة قابلة للتعميم كما هو الشأن في الظاهرة الفيزيائية، إذ يكفي أن أدخل عينة إلى المختبر وحين نجاح تجربتي أقوم بالتعميم، لكن هذا مستحيل حين ندرس النفس، وأحيانا حتى الذات لا تفهم ذاتها، ويستعصي علينا إدراكها، ونجد هذا في حالات اللاشعور. (ستراوس، 1977: 317).

- عائق اللغة، قد يصاب الإنسان بأمراض نفسية عنيفة جدا تعكر صفو حياته، وقد تؤدي به أحيانا إلى الانتحار كمرض الكآبة المسؤول عن كثير من حالات الانتحار في العالم، هذا المريض في حاجة إلى طبيب نفسي يشخص الداء قصد تقديم الدواء، وإذا كانت الظاهرة النفسية غير قابلة للملاحظة يلجأ الطبيب إلى سؤال مريضه قصد معرفة خبايا نفسه، وهنا يواجه الطبيب مشكلة اللغة، إذ يعجز المريض في كثير من الأحيان عن وصف ما يجري في النفس بالشكل الدقيق والصحيح، فقد تضيق بنا الأرض بما رحبت ونعيش ضغطا نفسيا رهيبا وحينما يسألنا الطبيب قد يكون جوابنا أشعر بالحزن، أو أنا

كثيب، وهذا التعبير قاصر في وصف حالاتنا، إذ تخوننا العبارات في التعبير عما نعيشه من حالات نفسية.

إنها حادثة متداخلة، فالظاهرة النفسية ليست مستقلة بذاتها، إذ قد ترتبط مع الجانب الفيزيولوجي، إذ نجد تداخلا بين الإحساس كظاهرة فيزيولوجية والإدراك كظاهرة نفسية وعقلية، والقلق والكآبة كمرض نفسي قد يكون له سبب بيولوجي عضوي كاختلال ما في إفرازات الدماغ، أو قد يكون له علاقة بمعطيات المجتمع الذي يحيا فيه، وبالتالي نجد أن التداخل والاختلاط والتشابك بين ما هو نفسي وفيزيولوجي واجتماعي يعيق الباحث في محاولة وصوله إلى الدقة في دراسته للنفس. (وقيدي، 2011: 100)

2.2 عوائق الظاهرة التاريخية

حينما نحاول دراسة الظاهرة التاريخية دراسة علمية تواجهنا عدة عقبات تتمثل في خصائص الحادثة التاريخية:

الحادثة التاريخية وقعت في زمن مضى وانقضى، وبالتالي يتعذر علينا ملاحظتها، ومادامت الملاحظة متعذرة يستحيل التجريب.

وهي حادثة فردية، أي لا تحدث إلا مرة واحدة، وهي محدودة بزمان وظروف ودوافع معينة لا تتكرر، فالثورة الفرنسية مثلا حدثت مرة واحدة ثم مضت وانقضت ويستحيل رجوعها، لها أسبابها ودوافعها الخاصة بها، وإن حدثت ثورة أخرى بعدها فلن تكون نسخة طبق الأصل للأولى، وإذا حدثت فبوسائل أخرى وظروف وبواعث وأفراد آخرين، بخلاف الحوادث الطبيعية إذ هي حوادث جاهزة يمكن أن نتناولها متى شئنا، فالماء هو الماء بعنصره في كل مكان وزمان، أما الثورة الفرنسية مثلا في القرن العشرين هي حادثة مضت ولن تعود، كل هذا يجعل الدراسة العلمية معقدة جدا. (نازل، 2003: 140)

وتحقيق الموضوعية في التاريخ أمر غير ممكن، (نازل، 2003: 152)، مهما كان حرص المؤرخ وإرادته في تحقيق ذلك، فبالرغم من أن الدراسة العلمية عمادها الموضوعية، وبالرغم من أن المؤرخين ينادون بضرورة تحقيق الموضوعية في الدراسات التاريخية

وتجنب الذاتية إلا أن التاريخ ما زال بعيدا عن الهدف، ونقدتهم لبعضهم البعض خير دليل على ذاتية التاريخ، وهذا شيء طبيعي، لأن المؤرخ قبل كل شيء إنسان له وطنه، ثقافته، عقيدته، ايديولوجيته، فكيف نطالبه بالتنكر لكل هذا؟! لأن تنكره لها كمن يطالبه بالتخلي عن جزء من شخصيته، والموضوعية لا تطبق إلا في عالم الأشياء، وهو ما جرى دون إرادتنا أو تدخلنا فدراسة الحديد والشجر مثلا مستقلة عن ميولنا ورغباتنا على عكس الحوادث الإنسانية كالتاريخ مثلا فهو من الإنسان وإليه، وما يؤكد بعد المؤرخ عن الموضوعية أن البرامج التعليمية الخاصة بالتاريخ تعدل دائما، فقد تصل حكومة ذات نظام جديد إلى تغيير مؤلفات تاريخية سابقة، في حين أنها لا تفكر في تجديد كتب الرياضيات أو الكيمياء. (المسيري، 2002: 15-16)

كذلك فإنها لا تخضع للحتمية التي تقتضي أن نفس الأسباب تؤدي إلى نفس النتائج، وهي حادثة وصفية غير قابلة للتقدير الكمي، إذ لا يمكن إدخالها المختبر بغية دراستها، فإذا حاول المؤرخ التأكد من فرضية سياسية يفترضها هل سيعمل على تفجير حرب في إحدى المجتمعات ليلاحظ صحة فرضياته أو خطئها!! طبعا هذا لا يمكن. (المسيري، 2002: 15-16)

3.2 عوائق الظاهرة التاريخية

إن طبيعة المشكلات التي تواجه الباحث العلمي في الظاهرة الاجتماعية هي: أول عائق يواجهه الباحث هو عائق الذاتية، فالباحث في دراسته للمجتمع متأثر بأفكار وإيديولوجيات مما يجعل الدراسة متحيزة وذاتية وفاقة للمصداقية والموضوعية. (Heisenberg, 1989: 200)

كما أنها مركبة تتداخل فيها أبعاد الإنسان المختلفة: النفسية، الفكرية، الدينية، الاقتصادية، البيولوجية، يقول جون ستوارت مل: "إن الظواهر المعقدة والنتائج التي ترجع إلى علل وأسباب متداخلة ومركبة لا تصلح أن تكون موضوعا حقيقيا للاستقراء العلمي المبني على الملاحظة والتجربة"، ولا يمكن أن تخضع للتجربة المباشرة لأنها معنوية.

ويصادفنا أيضا عائق الحتمية: إذ يختلف الإنسان عن عالم المادة في كونه يملك إرادة وحرية في التصرف على خلاف المادة التي تحكمها الحتمية، فالإنسان بمقدوره ألا يكون مجرما رغم حضور كل الأسباب التي تؤدي إلى الإجرام. (برنس، 1974: 56)

3. ابستمولوجيا العلوم الانسانية ودورها في إحداث طرح جديد، (تجاوز العقبات وتحقيق نتائج معتبرة)

إن هذه العوائق التي تقف أمام تطبيق المنهج العملي، اجتهد العلماء على في تذليلها في مجال الدراسات الإنسانية، ووضع مناهج تتماشى مع طبيعة المواضيع، واستطاعت فيها الوصول إلى نتائج علمية ومن هذه العلوم هي، علم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس.

1.3 ابستمولوجيا علم النفس وتجاوز العوائق:

نجد أقرب المدارس إلى الدراسة العلمية هي المدرسة السلوكية بزعامة وطسن، هذه المدرسة عملت على دراسة الظاهرة النفسية دراسة موضوعية، إذ ترى أن الظاهرة النفسية يمكن ملاحظتها، وذلك بملاحظة آثارها التي تتمثل في السلوك الذي يعتبر مرآة عاكسة للحياة النفسية الداخلية، ويرى وطسن أن سلوك الإنسان ينحل إلى (منبه) و(استجابة).

فكل سلوكيات الإنسان تجري على هذا الشكل، ويكفي فقط أن تحدث منبهات وتلاحظ الاستجابة، ومن خلالها ترى الظاهرة النفسية مجسدة في طريقة الاستجابة، والينبوع الأول الذي استقى منه واطسن أفكاره هو الدراسات التي قام بها العالم الروسي بافلوف: (كان بافلوف يريد قياس كمية اللعاب التي يفرزها الكلب عند تناول الطعام، ولذلك ثبت كلبا في مكان معين و أوصل إحدى غدده اللعابية بأنبوب، وقد لاحظ أثناء تجربته هذه أن الكلب لا يفرز اللعاب فقط عندما يكون الطعام في فمه، وإنما يبدأ الإفراز بمجرد ما يرى طبق الأكل)، فإفراز اللعاب عند رؤية الخادم أو سماع وقع الأقدام هو فعل

مكتسب تولد في ظل الشروط التي كانت تسبق عملية الأكل، وقد سعى بافلوف هذا العمل الجديد بالمنعكس الشرطي.

وقد أعجب واطسن بهذه التجربة، فأخذ يشرح على غرارها ما يوجد في سلوك الإنسان من تعقيد، فأنواع السلوك الذي نواجه به مؤثرات البيئة ليست سوى منعكسات شرطية اكتسبت بالتجربة. ولنأخذ الانفعالات يرجعها واطسن إلى ثلاثة انفعالات وهي الغضب الذي ينشأ عن تضيق الحرية، والحب الذي ينشأ عن الرتب والمداعبة، والخوف: ينشأ عن استجابة لمؤثر خارجي كحدوث أصوات مرتفعة. (الذنيبات، 2001: 37).

وهناك المنهج التحليلي أو التحليل النفسي، وهو طريقة علمية في تحليل الظواهر النفسية والاضطرابات العقلية أبدعها العالم النفسي سيغموند فرويد كبديل للتنويم المغناطيسي ويقوم التحليل النفسي على الحوار والتداعي الحر للأفكار من خلال الأسئلة التي يلقيها الطبيب على المريض أو السوي، وتتعلق أساسا بماضيه وأحلامه ورغباته وميوله والغرض من ذلك هو إخراج الرغبات المكبوتة في اللاشعور إلى ساحة الشعور حتى تزول العقد وتختفي الأعراض المرضية يقول فرويد: (إن اللاشعور فرضية لازمة ومشروعة لتفسير الكثير من الأفعال التي لا تتمتع بشهادة الشعور، سواء عند الأسوياء أم المرضى على حد سواء).

2.3 ابستمولوجيا علم التاريخ وتجاوز العوائق:

يعود الفضل في تدليل هذه العقبات إلى "عبد الرحمان بن خلدون" وكذلك من بعده من المؤرخين الأوروبيين أمثال "رينان" و"تين" و"فوتسال دي كولايج" بحيث دعوا إلى احترام طبيعة الحادثة التاريخية وخصائصها، وعلى هذا الأساس تم التوصل إلى النتائج التالية. (ابن خلدون، 2005: 72)

إذا كانت الحادثة التاريخية فردية ولا تتكرر، وتحررها من مبدأ الحتمية وعدم قابليتها للتجريب، لذلك وجب تطويع مفهوم التجربة بحيث تنسجم مع طبيعتها، ومن

حيث ضرورة تحديد بدايتها فإن المؤرخ يلجأ على الافتراض في تحديد المنطلق ويختار أقربها إلى الموضوعية مع مراعاة التسلسل السببي بين حلقات التاريخ، ومن التجربة فإنه يعوضها بالمقارنة التاريخية التي تقع تحت الدراسة:

أ- على أساس هذه الخاصة، وجب تناول الحادثة من خلال الآثار والوثائق وهي على نوعين:

- المصادر غير الإرادية التي بقيت من غير قصد ولا بنية مثل الأبنية، النقود الأسلحة والأوسمة والتراث الفكري والأدبي.

- المصادر الإرادية وهي التي بقيت قصداً لتكون شاهدة عليهم كالرواية وكتب التاريخ.

ب- التحقق من صدق المصادر وإبعادها عن الذاتية قبل إعادة بناء الحادثة

التاريخية وذلك بواسطة النقد الذي يتم على مستويين: (ابن خلدون، 2005: 17)

النقد الخارجي: وهو الفحص الخارجي للمصدر من أجل معرفة هل هذه الوثيقة

تعود إلى ذلك الزمن أم لا؟ وهل وصلت لنا دون تشويه أو تزوير؟ وإذا كانت وثيقة يتفحص نوع الورق أو الحبر أو شكل الخط، وإذا كان سلاح أو نقود أو أوسمة يتفحص نوع المعدن طبيعة المواد الكيميائية من أجل التأكد من الآثار.

النقد الباطني: وهو فحص الداخلي للمصدر، من أجل معرفة هل ما ورد في هذه

الوثيقة يتماشى مع عقلية الذي تنسب إليه وهل هو متفق مع ما روي في مراجع أخرى وكذلك معرفة نفسية الكاتب وموقفه اتجاه هذه الحادثة مما دفعه إلى التمهيص والمبالغة أو إلى التشويه في الأحداث والقراءة الدقيقة حتى يتمكن من الوقوف على أخطاء الغير المقصودة والعفوية

خ- إعادة بناء الحادثة بالتأليف بين أجزائها ويرتبا حسب تسلسلها الزمني،

وراجعها مع الحوادث العامة بعد انتقائها وفق أهميتها ونوعها. (Angers, 2004: 84)

2.3 ابستمولوجيا علم الاجتماع وتجاوز العوائق:

أما إذا جئنا إلى دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة علمية نجد ابن خلدون من الأوائل الذين عملوا على فهم الظواهر الاجتماعية ودراستها دراسة تجريبية وتجاوز العوائق التي تصادف ذلك، وأطلق على هذا العلم اسم "عمران العالم"، ثم جاء بعده "أوغست كونت" زعيم الفلسفة الوضعية وكان هو أول من استعمل اسم "علم الاجتماع" وبعد ذلك تناول إيميل دوركايم الظاهرة الاجتماعية من خلال دراستها دراسة تجريبية قائمة أساساً على تحديد خصائصها، والعوامل التي تتحكم فيها وأهم الخصائص.

(Bourdieu, 1981:124)

كما أن الظاهرة الاجتماعية خارجة عن شعور الأفراد، ذلك أنهم ليسوا هم من خلقها، لأن الفرد يولد ويوجد المجتمع كاملاً أمامه بعاداته وأعرافه وقوانينه وهو يخضع لها.

فالدين مثلاً سابق عن وجود الفرد المؤمن فهو يجده تام التكوين منذ الولادة، يقول دوركايم: "لما كان هذا العمل المشترك يتم خارج شعور كل فرد منا فإنه يؤدي بالضرورة إلى تثبيت وتكريس بعض الضروب الخاصة من السلوك والتفكير، وهي تلك الضروب التي توجد خارجة عنا، والتي لا تخضع لإرادة أي فرد منا على حدة." أي أن دوركايم يؤكد على أن علم الاجتماع ما كان له أن يوجد إلاّ عندما شعر المفكرين بأن الظواهر الاجتماعية أشياء ذات وجود حقيقي وبأنه يمكن دراستها حتى وإن لم تكن أشياء مادية بمعنى الكلمة. يقول دوركايم: "إن الظواهر الاجتماعية أشياء ويجب أن تدرس على أنها أشياء، وإذا أردنا البرهنة على صدق هذه القضية فلسنا في حاجة إلى دراسة طبيعة هذه الظواهر دراسة فلسفية". ويوضح دوركايم معنى الشيئية بقوله: "إننا لا نقول في الواقع أن الظواهر الاجتماعية أشياء مادية، ولكننا نقول إنها جديرة بأن توصف بأنها كالظواهر الطبيعية تماماً...، ومعنى أن نعتبر الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء هو دراستها بنفس الطريقة التي تدرس بها الظواهر الطبيعية، أن نتحرر من كل فكرة سابقة حول هذه الظواهر، وأن

تأتي معرفتنا بها من الخارج عن طريق الملاحظة والمشاهدة، وليس من الداخل عن طريق التأمل والاستبطان، وليس معنى أننا نعالج طائفة خاصة من الظواهر على أنها أشياء هو أننا ندخل هذه الظواهر في طائفة خاصة من الكائنات الطبيعية، بل معنى ذلك أننا نسلك حيالها مسلكا عقليا خالصا، أي أننا نأخذ في دراستها وقد تمسكنا بهذا المبدأ الآتي، وهو أننا نجهل كل شيء عن حقيقتها، وأننا لا نستطيع الكشف عن خواصها الذاتية وعن الأسباب المجهولة التي تخضع لها عن طريق الملاحظة الداخلية مهما بلغت هذه الطريقة مبلغا كبيرا من الدقة".

وهكذا يعتبر دوركايم أن التحرر من كل فكرة سابقة وتفسير الاجتماعي بالاجتماعي واعتبار الظواهر الاجتماعية كأشياء هي مقومات الأسلوب العلمي الوضعي القائم على الوصف والتحليل ومنطق المقارنة، فلا يقيم وزنا للتخيل والتأمل والاستبطان الداخلي والآراء الذاتية.

كما نجده أيضا تمايز بأنها ظاهرة إلزامية جبرية، والأفراد والجماعات ملزمون بتطبيقها ومن يخالفها يتعرض للعقاب يقول دوركايم: "لست مجبرا على استخدام اللغة الفرنسية كأداة للتخاطب مع أبناء وطني، ولست مضطرا إلى استخدام النقود الرسمية، ولكن لا أستطيع إلا أن أتكلم هذه اللغة وإلا أن أستخدم هذه النقود ولو حاولت التخلص من هذه الضرورة لباءت محاولتي بالفشل" (Bourdieu, 1981:124).

هذا ونجدها ظاهرة جماعية تتمثل فيما يسميه دوركايم بالضمير الجمعي، أي أنها لا تنتسب لأي فرد من الأفراد ولا إلى جماعة من الأفراد، فهي تلقائية عامة يشترك فيها جميع الأفراد، وتتكرر مدة طويلة من الزمن.

كما تمتاز بأنها حادثة تاريخية تعبر عن لحظة من لحظات تاريخ الاجتماع البشري، فالعادات والمعتقدات والشرائع التي يتناقلها النشء عن الأجداد هي أساس التراث الاجتماعي

وهكذا توصل دوركايم إلى محاولة تفسير الظاهرة الاجتماعية تفسيراً وضعياً علمياً مبتعداً عن الدراسات الفلسفية.

وهكذا تظل الإشكاليات المطروحة ليس بالضرورة تشكيكاً في القيمة العلمية لهذه العلوم، وإنما يتعلق الأمر بنقاش ابستيمولوجي من شأنه أن يغني العلوم الإنسانية، ويدفع بها إلى أن تتوخى الدقة، لأن جميع الصعوبات تتمثل في طبيعة الظاهرة الإنسانية باعتبارها ظاهرة معقدة، متغيرة، وأن الإنسان يكون هو الدارس والمدرس في نفس الوقت.

4. المعرفة والحقيقة في العلوم الإنسانية عند جورج هانز غادامير:

رغم بلوغ العلوم الإنسانية منزلة أهلتها لمقارنتها بالعلوم الطبيعية، وبمجرد إجراء هذه المقارنة اتضح عجزها عن تحقيق ما أحرزته العلوم الطبيعية من تقدم، حتى إنه أصبح يطلق على خلفها النسبي عن هذه العلوم اسم أزمة العلوم الإنسانية، التي سماها إدموند هوسرل أزمة العلوم الأوروبية وهو عنوان لأحد كتبه، فينومينولوجيته تعبر عن جهده المستميت لإزالة الهوة بين العلوم الطبيعية والإنسانية، من منطلق رفضه التسليم الساذج للمذهب الطبيعي من أمثال الوضعيين، ودعاة فرض النموذج الطبيعي ووحدة العلم. (عبد، 2017: 152)

فالظاهر أن هناك توجهات ضد التوجه المحتفي بالعلوم الطبيعية والراغب في الاحتذاء بنموذجها وفي هذا السياق نفسه تأتي مساهمة هانز جورج غادامير الذي حملت بداية بحوثه في العلوم الإنسانية، موقفه المقاوم لمزاعم وجود منهج علمي شامل "بدأت بحوثنا التي بين أيدينا مع مقاومة في العلم الحديث نفسه لمزاعم المنهج العلمي الشاملة"، (غادامير، 2007: 27-28)، وإن كان يعترف بالهيمنة التي حازها المفهوم الديكارتي عن المنهج الواحد الصالح لجميع موضوعات المعرفة الممكنة في الابستيمولوجيا الحديثة، إلا أنه لا يتوانى في الكشف عن موقفه المعاكس، إذ قال "إن ما يميز موقفنا في إطار العمل

الفلسفي في القرن العشرين هو أنني أنشغل مرة أخرى في المجادلة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية" (غادامير، بداية الفلسفة ، 2002: 37).

يتمثل موضوع المجادلة الذي شغل غادامير إذا بمسألة وحدة العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، حيث يرى أن مناقشة هذه المسألة هي مناقشة مضللة، لأنها تنطلق من حقيقة أن وظائفها مختلفة اختلافاً أساسياً، فالعلوم الطبيعية تتوسل طريقة موضوعية، بينما توسل العلوم الإنسانية سبل التشارك والحوار. بل إن غادامير يصل إلى اعتبار القول بأن التمييز بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية لم يعد تمييزاً مهماً كان في القرن التاسع عشر، قولاً خاطئاً وينطوي على مفارقة تاريخية، فإذا كانت العلوم الطبيعية لم تعد تتحدث عن الطبيعة من دون أن تتحدث عن التطور والتاريخ، وما دام الكائن الإنساني يحتل مكاناً في التاريخ الطويل للكون، فمن المناسب القول إن العلوم الأخلاقية والروحية تنضم إلى العلوم الطبيعية، لكن هذا هو الخطأ الفادح لدى غادامير، الذي اعتبره تأويلاً غير وافي لتاريخية الإنسانية. إن الكائنات الإنسانية لا يمكن أن تكون موضع ملاحظة من وجهة نظر باحث، وإنه لمن المستحيل اختزال هذه الكائنات إلى مجرد موضوعات وفهمها من هذا المنظور، فخبرة الكائنات الإنسانية وهي تواجه نفسها عبر التاريخ، هذا الشكل من الحوار، هذه الطريقة في أن يفهم أحداً الآخر، هذا كله مختلف اختلافاً أساسياً عن دراسة الطبيعة وعن اختبار العالم والكائنات العاقلة، لهذا يرى غادامير أنه " يجب أن يتغير معنى كلمة منهج فهنا لا يوجد باحث يحتل موقع الذات الملاحظة" (غادامير، بداية الفلسفة ، 2002: 37-38).

كرس غادامير اهتمامه في بحوثه لتلمس تجربة الحقيقة والبحث في شرعتها، حيث اعتبرها متعالية على حقل المنهج العلمي، لهذا كان تجنب قهرية وصرامة الميتودولوجيا العلمية بالنسبة إليه أمراً لازماً، من منطلق أن الوعي الحديث كوعي تاريخي قد أصبح يتخذ موقفاً تفكيرياً بالنسبة إلى كل ما يسلم له عبر التراث، إذ لم يعد الوعي التاريخي ينصت للصوت الذي يأتيه من الماضي، ولكن بتفكيره حوله يعيد وضعه في السياق الذي

تجدر فيه لمعرفة الدلالة والقيمة النسبية اللتين يكتسبهما، وهذا ما يسمى تأويلا وهو المنهج الذي استلهمته العلوم الإنسانية في نظر غادامير إمكان تعدد الآراء، إذ من السذاجة انحباسنا في الحدود المطمئنة لتراث مغلق على نفسه (عبة، 2017: 157).

وإذا ما أقررنا بوجود نمط معرفة مستقلة خاصة بالعلوم الإنسانية، وإذا ما أقررنا بوجود نمط معرفة مستقلة خاصة بالعلوم الإنسانية وإذا سلمنا باستحالة إخضاعها لنموذج المعرفة العلمية لعلوم الطبيعة، فإنه "من غير المجدي في هذه الأحوال أن نعتبر أيضا طبيعة العلوم الإنسانية مجرد مسألة منهج. لا يتعلق الأمر بتحديد منهج خاص فقط بتحديد منهج خاص فقط، وإنما مسألة فكرة أخرى عن المعرفة والحقيقة" (غادامير، بداية الفلسفة ، 2002: 75).

يرجع غادامير مفهوم العلم حديثا إلى تطور علوم الطبيعة في القرن السابع عشر، الذي يرى أن مناهجها لا تستطيع إدراك ما هو جدير بالمعرفة ولا حتى ما هو ثمين، لذلك لابد من الحديث عن خصوصية العلوم الإنسانية والدلالة التي يمكن أن تخذها، وكذا الأمر المتضمن فيها، الداعي إلى التفكير عوضا من استعمال هذه المناهج العلمية، لأن المنتظر من العلوم الإنسانية هو "أن تمنحنا نمطا ومستوى آخر من المعارف، وهذا ينطبق أيضا على الفلسفة التي تتضمنها هذه العلوم" (غادامير، بداية الفلسفة ، 2002: 151). وإن كان يعترف بأن استعمال المناهج هو في عداد نشاط العلوم الإنسانية، إلا أنه أمر يخص أدوات هذا النشاط أكثر من النتائج المستخلصة، فليس المنهج هو الذي يمكن العلم من التأكد من يقينية الحقيقة (عبة، 2017: 158).

إن ما يؤسس موقف غادامير من السابق من المناهج العلمية هو اعتقاده في خصوصية المعرفة في العلوم الإنسانية، التي تمت في نظره بصلة أكثر حدسية الفنان منه إلى الروح المنهجية للبحث، وقد نتج موقفه هذا من سؤاله التالي: ما هو البعد الذي تتمتع به العلوم الإنسانية؟ هل بإمكاننا تطبيق مفهوم البحث على هذه العلوم؟ إلا أن غادامير يرجع دوافعها الحقيقية والضرورية إلى الروح الرومنسية والمثالية الألمانية اللتين احتفظتا

بوعي حي تجاه عصر الأنوار وحدود المنهج في العلم التجريبي، لكن كيف استفادت العلوم الإنسانية من وعي الرومانسية والمثالية الألمانية بحدود عصر الأنوار وحدود المنهج في العلم حتى تتطور؟ للإجابة على تساؤلنا نستعيد هنا سال غادامير التالي: "هل بإمكان العلوم الإنسانية - الأمر الذي يجعلها ذات مغزى ودلالة بالنسبة إلينا- أن تشبع رغبة وحاجة قلب الإنسان إلى الحقيقة"(غادامير هـ، فلسفة التأويل: الأصول، المبادئ، الأهداف، 2006: 161).

يعتقد غادامير أن الحس التاريخي الذي تنميه العلوم الإنسانية إنما جاء ليعودنا على الكثرة المتنوعة لمعايير القياس التي تقود إلى لا يقينية استعمالنا معايير خاصة، فمن جملة الشروط الخاصة للحقيقة، التي لها أهمية، أنه في ميدان البحث لا نمتلك معايير يقينية مطلقة (غادامير هـ، فلسفة التأويل: الأصول، المبادئ، الأهداف، 2006: 164)، لهذا كان الإنصات إلى التراث والانتماء إلى فضائه هو سبيل الحقيقة التي يجب البحث عنها في العلوم الإنسانية، وإن كل نقد يقوم به المؤرخون ليس له إلا أن يربطهم بالتراث الحقيقي الذي ينتمون إليه بالفعل، ف "أن نكون مشترطين (بهذا التراث) لا يشكل عائقا بالنسبة إلى المعرفة التاريخية وإنما يعتبر لحظة الحقيقة نفسها" (غادامير هـ، فلسفة التأويل: الأصول، المبادئ، الأهداف، 2006: 165)

إن ما يؤكد غادامير من وجهة نظر علمية هو تدمير شبخ الحقيقة المستقلة من وجهة نظر الشخص العارف، بل إنه يرى أن من الضروري الوعي بهذا للتخلص من الأوهام، وأن الاعتقاد الساذج في موضوعية المنهج التاريخي هو أحد هذه الأوهام، وهذا لا يعني الوقوع في النسبوية، فهو يؤكد أننا ما يمكننا فهمه من الماضي ليس اعتباطا ولا احتماليا. لهذا هو يثمن المعرفة في العلوم الإنسانية التي كانت مرتبطة بمعرفة الذات إلا أنها تعلمنا شيئا آخر" ما ينبغي تعلمه في العلوم الإنسانية - من التراث التاريخي ليس فقط ما نحن عليه- معرفة ذاتنا كما تجلت لنا، وإنما شيء آخر والمتمثل خصوصا في

الدوافع التي تحملنا خارج ذواتنا" (غادامير هـ، فلسفة التأويل: الأصول، المبادئ، الأهداف، 2006: 166).

لقد حاول غادامير فهم لماذا هي واهنة وغير ثابتة حالة العلوم الإنسانية في حضارة الكتل البشرية، فتوصل إلى أن ضغوط المصالح الاقتصادية ومصالح المجتمع ترهق المعرفة العلمية، زيادة على هذا في العلوم الإنسانية تأتي ضغوط من الداخل وهي معرضة للخطر عندما تعتبر ما يناسب مصالح السلطات صادقا، لأن عنصرا لا يقينيا سينضاف إليها فموافقة أو استحسان الآخرين سيكسوها وزنا خاصا. يقول غادامير "يصبح الاتفاق مع الرأي العام وكذا الصدى الذي يعده هذا الأخير لأبحاثهم في عداد القصد اللاشعوري للباحث. هكذا تحضر المصلحة القومية في كتابة التاريخ السياسي" (غادامير هـ، فلسفة التأويل: الأصول، المبادئ، الأهداف، 2006: 167).

ومثل هذا الأمر في نظره ليس انحلال عرضيا منتسبا إلى الضعف الإنساني، إنما هو خاصية لعصره الذي يستند إلى هذا الوهن العام في سبيل تطوير منظومة قصد ممارسة السلطة والهيمنة، وهو يرجع إلى ما يصفه بالتجربة المميتة التي قامت بها البشرية في زمانه، وهي كون العقل في حد ذاته قابل للفساد ومعرض للانحرافات، ورغم هذا يطالعنا بتفاؤله إغراءات السلطة والهيمنة وغوايات الفساد، وذلك من طريق المعرفة الذاتية التي تمتلكها، والتي تمنحها زيادة في العلم، ولكن المشكل هو أن هذا الأمر هو الذي لم تفلح في تحقيقه حتى الآن (عبد، 2017: 159).

إن تفاؤل غادامير مشروط يتحد هو تحقيق العلوم الإنسانية معرفة الذات، التي هي مصدر علميتها حتى تتمكن من مقاومة كل أشكال الإغراءات والهيمنة، وهو ما حاول تحقيقه من خلال مشروعه الفلسفي، فالمشكل الذي يفترضه ويحاول حله هو عدم نجاح العلوم الإنسانية في تحقيق المعرفة الذاتية، وإن نجاحها في هذا الأمر هو الذي سيمنحها زيادة في العلم.

5. خاتمة:

يمكن القول أن الدراسات العلمية على الظاهرة الإنسانية مرتبطة بالمنهج المتبع وتكييفه حسب الطبيعة الظاهرة الإنسانية، وبالتالي يمكن للدراسات القائمة في مجال العلوم الإنسانية من أن تخلع على نفسها صفة العلم بالمفهوم الذي ينطبق مع خصوصيات ميدانها، الشيء الذي جعلها - العلوم الإنسانية - تبرهن على أنها قادرة على تجسيد صفة الموضوعية ولو بنسبة معينة على مستوى معرفة الإنسان لنفسه وتعزيز هويته والرضا بتعايشه مع غيره انطلاقاً من الماضي كقاعدة أساسية.

على الرغم من الصعوبات والعراقيل التي تواجه الباحث العلمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية إلا أنه يمكن القول أن لهذين الصنفين من العلوم أهمية بالغة ومكانة هامة بين العلوم الأخرى، لاسيما العلوم الطبيعية، وتتجلى هذه الأهمية من خلال: إن العلوم الإنسانية هي من الفروع المعرفية الضرورية بل أكثرها أهمية إن لم نقل الأصل الذي انبثقت منه جميع العلوم. وبالتالي لابد من دعم هاته العلوم وتشجيعها لأنها بمثابة المحافظة على قوة الدولة أو هي سبب لذلك. والمحافظة على المجتمع والفرد الذي هو أساس المجتمع. وإنتاج جيل واع بمسؤولياته.

إن العلوم الإنسانية تحاول سحب بساط القدسية عن كل المعارف (اليقينيات والوثوقيات)، أو فرضيات العلم فليس هناك معرفة تعلو عن النقد والتحليل والمقارنة. المراجعة والتعديل باستمرار، وبالتالي يجب أن ننظر إليها على أنها تنمي قدرة المتعلمين على اتخاذ القرارات المناسبة والإيجابية، وتجعل المتعلم يستفيد من الماضي والحاضر من أجل تطوير المستقبل، وهذا من مهام الاستيمولوجيا على حد تعريف اندري لالاند.

ومن ثم ليست فلسفة العلوم أو الاستيمولوجيا ملكة آمرة أو مرشداً هادياً حادياً يرسم للعلماء خطوات المنهج الاستقرائي: من ملاحظة وفرضية وتجربة.. إلخ، كما تصور فلاسفة العلم الكلاسيكي منذ فرانسيس بيكون حتى جون ستوارت مل ليسير العلماء

وفقها على الصراط المستقيم، حتى يصلوا إلى حتما إلى النتيجة الموعودة: كشف علمي هو قانون يقيني (الخولي، 1990: 235-236).

كل ما في الأمر أن فلسفة العلوم تتسلح بشفيعتها: المنطق حصن الفلسفة الحصين والمعامل الموضوعي المشترك بين الجميع سواء في حلبة العلوم الإنسانية والاجتماعية أو في حلة العلوم الطبيعية أو في البين بين. وذلك لكي تجرد الأطر الصورية للعلم، ويمكن من استكناه الأسس التأصيلية الجذرية، بغية استبصار الآفاق المستقبلية. تلك هي مهمة منطق العلم.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم، مصطفى إبراهيم. (2000). *في فلسفة العلوم (ط1)*. مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- 2- ابن خلدون، عبد الرحمن. (2005). *المقدمة (ط1)*. القاهرة، مصر: دار الهيثم.
- 3- ابن منظور، جمال الدين. (د.ت). *لسان العرب (د.ط)*. القاهرة، مصر: دار المعارف.
- 4- باغورة، الزواوي. (2001). *المنهج البنيوي (ط1)*. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر.
- 5- بوحوش، عمار، و محمود الذنبيات، محمد. (2001). *مناهج البحث العلمي (ط3)*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 6- الجابري، محمد عابد. (1998). *مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي (ط4)*. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- 7- جون، باجي. (1976). *الاتجاهات الرئيسية في العلوم الاجتماعية . مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، المجلد الأول، ص 88*.
- 8- الخولي، يمنى الطريف. (1990). *مشكلة العلوم الإنسانية تقنياتها وإمكانية حلها (د.ط)*. مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- 9- شاروخ، صلاح الدين. (2003). *منهجية البحث العلمي (ط1)*. عنابة الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع.
- 10- شكري، حامد نازل. (2003). *مناهج الدراسات الاجتماعية وأصول تدريسها (ط1)*. العين، الإمارات: دار الكتاب الجامعي.
- 11- عبة رشيدة. (2017). *إبستمولوجيا العلوم الإنسانية في الفكر العربي والفكر الغربي المعاصر (ط1)*. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- 12- عبد الوهاب، المسيري. (2002). *الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان (ط1)*. دمشق، سوريا: دار الفكر.
- 13- عوادي، عمار. (2002). *منهجية البحث العلمي وتطبيقاتها في ميدان العلوم القانونية والإدارية (ط3)*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 14- كلود، لفي ستراوس. (1977). *الأنثروبولوجية البنيوية (ط1)*. دمشق، سوريا: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

- 15- اللقائي، أحمد حسين، وبرنس، أحمد رضوان. (1974). *تدريس المواد الاجتماعية (د.ط.)*. مصر: عالم الكتب.
- 16- محمد فتحي، عبد الله. (2017). *معجم مصطلحات للألفاظ العربية والانجليزية والفرنسية واللاتينية (د.ط.)*. الإسكندرية، مصر : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- 17- محمد، جلال شرف. (د.ت). *قراءات في فلسفة العلوم الإنسانية (د.ط.)*. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- 18- محمد، محمد قاسم. (2003). *مدخل إلى فلسفة العلوم (د.ط.)*. الإسكندرية، مصر: دار المعارف الجامعية للطباعة والنشر.
- 19- هانز جورج، غادامير. (2002). *بداية الفلسفة (ط1)* . بيروت، لبنان : دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- 20- هانز جورج، غادامير. (2006). *فلسفة التأويل: الأصول، المبادئ، الأهداف (ط2)*. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- 21- هانز جورج، غادامير. (2007). *الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية (ط1)*. ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، بيروت، لبنان: دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية.
- 22- وقيدى، محمد. (2011). *العلوم الإنسانية والادبولوجيا (ط3)*. بيروت، لبنان : دار الكتب العلمية.
- 23- Angers, Maurice. (2004). *initiation pratique a la méthodologie des sciences humaines(5e édition)*. Canada: Les édition CEC.
- 24- Pierre, Bourdieu, (1981). *questions de sociologie (1e édition)*. Paris, France: Edition de minuit.
- 25- Werner, Heisenberg. (1989). *Physics and philosophy, The Revolution in Modern Science(1e édition)*. new York: Paul Davies